«اللغة العربية» .. محاولات لتجاوز أزمة تعريب العلوم

■ كتب - صبرى الموجي

اللغة هى الحياة .. هذا ما صدّر به المستشار عبدالعزيز سلمان، نائب رئيس المحكمة الدستورية العليا، كلمته بالجلسة الافتتاحية لمؤتمر مجمع اللغة العربية الـ ٨٨، مساء أمس الأول والتى جاءت تحت عنوان (تعريب العلوم: التجارب، المشكلات، الحلول)، ليوضح أنه لا مظهر للحياة بدون اللغة، فعناصر الكون المختلفة لها لغتها الخاصة بها، وهى فى حالة تحاور وتواصل مع باقى العناصر.

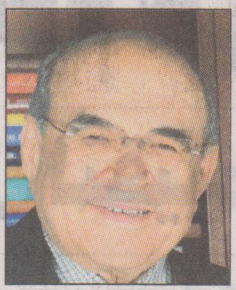

■ د.مصطفى الفقى

■ د.صلاح فضل

■ المستشار عبدالعزيز سلمان

وحسب المستشار سلمان، فإن للغة أوجها عدة بدءا من لغة التعامل اليومي، مرورا بلغة الآداب والعلوم الاجتماعية، إلى العلوم الطبيعية بما تتضمنه من مستويات مُعقدة وصولا إلى لغة الرموز المشتقة. وفى وصفه للغة القانون أكد أنها لغة صارمة مُجردة من أى مُحسنات، أو خيالات أو مُترادفات، ووضوحُ اللفظ ليس ترفا بل هو أمرٌ مرتبط بالحرية، ويؤثر على دستورية النص خاصة النصوص العقابية، وهو ما يبرز واضحا فى أحكام محكمة النقض المصوغة بلغة صُلبة تتسم بالحزم والحسم، فضلا عن كونها جامعة مانعة لا يأتيها شك ولا يتسرب إليها ريب، وأشار إلى صفة أخرى، فى لغة التقنين وهى ضرورة الوضوح والدقة مع البعد عن التعقيد، لأن اللغة المعقدة تجعل القانون مُغلقا، واللغة غير الدقيقة تجعل القانون مُبهما.

ويستعرض الدكتور صلاح فضل، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، رأيه فى مسألة تعريب العلوم، موضحا أنها تواجه ثلاث إشكاليات. ويشرح: «تتمثل الإشكالية الأولى فى ضرورة رفض ما روجه بعض المغتربين بأن لغتنا الأم هى اللهجاتُ العامية، والتى لا تصلح مُطلقا لأن تكون لغة الفكر والعلم». واستشهد فضل بموقف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الذى ولى ظهره للهجات العامية، وانطلق للبادية ليتزود من بلاغتها وجمال لغتها.

وشرح الدكتور فضل أن الإشكالية الثانية تتمثل فى تقليص السابقين لفترة عهد «الاحتجاج اللغوي»، وهى الفترة التى شهدت جمع وتحديد معايير وقواعد اللغة، والقول بأنه ينتهى عام ١٣٢ هجريا فى خواتيم العصر الأموي، يحرم الأمة العربية من ثروات معرفية وثقافية حُصلت بعد ذلك عن طريق بلاد الفرس والهند واليونان والرومان.

وأشار د. فضل إلى أن الإشكالية الثالثة تتجسد فى عبارة الفيلسوف الفرنسى ديكارت بأن «العقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس»، وهذا لا يمكنُ الإقرارُ به؛ لأن اللغة وهى محتوى العقل وجوهره ومكنونه لابد أن نكتسبها من مصادرها المختلفة فى الفكر والآداب والفنون وغيرها، وهو ما يُثبت أن الحصيلة اللغوية تتفاوتُ من شخص إلى آخر، ويؤكد أن تعريبَ العلوم يتطلبُ تعريبَ القراءة والكتابة، وجعلها باللغة الفصحى.

أما الدكتور مصطفى الفقى رئيس مكتبة الإسكندرية، فيرى أن اللغات ليست وسائل للتعبير وفقط، بل هى طرائقُ للتفكير، رافضا ما يقال أن «العربية» هى لغة التعبير فقط، مشيرا إلى أنها لغة تفكير أيضا. وأكد أن اللغة العربية تملك من ثراء المُفردات والأساليب والعبارات والجمل، فضلا عن الأخيلة ما يجعلها تباهى كل اللغات.

ودلل د. الفقى على ثراء العربية باتساعها لاختلاف عملاقين من عمالقة اللغة تحت مظلتها، وهما العقاد نحاتُ الفكر، وطه حسين مُوسيقار الكلمة. وتساءل : «إذا كان رموزُ الغرب يحتفون باللغة العربية، ويستشهدون بآى القرآن، ويضع بعضهم مثل بوتين مُصحفا على مكتبه، فإنه من باب أولى أن يتحمس لها العرب، ويستخدموها فى كل المناسبات، ولفت إلى أهمية الترجمة، موجها إلى ضرورة العناية بها عن طريق اختيار الكتب وترجمتها ترجمة حقيقية مُعبرة عن المعنى بعيدا عن مجرد الترجمة الحرفية.

وعن وجهة نظر أ. د محمود السيد، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق،فإن تعريب العلوم موضوعٌ قديم جديد، عُقدتْ من أجله مؤتمرات وندوات نفذ منها القليل، وأهمل الكثير لأسباب منها غيابُ لجان المتابعة، وعدم إصدار قرار سياسى يُقاوم التباطؤ والتلكؤ فى التنفيذ، مثلما حدث بسوريا التى مرّ على قرار تعريب العلوم بها قرنٌ من الزمان، وحققت التجربة نجاحا منقطع النظير، أثبت ثراء اللغة العربية، واشتمالها على اشتقاقات ومفردات قادرة على التعبير عن الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة، ولفت إلى أن الحفاظ على اللغة «أمنٌ قومي»، لأن الدفاع عنها دفاعٌ عن الأصل والكيان بل والدم أيضا. واستنكر وجود نغمات نشاز من العرب أنفسهم تُطالب بإبعاد اللغة العربية عن العلوم الحديثة لمواكبة روح العصر، مؤكدا أن هذا عار تماما عن الصحة، مستشهدا بـ «تجربة تم استخدامها فى دراسة الطب والهندسة والعلوم التطبيقية ببلدنا سوريا خيرُ شاهد».